الخطب المنبرية

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

(حفظه الله تعالى)

خطبة الجمعة بعنوان

أعمال القلوب

بتاريخ/ ١٠ رجب ١٤٤٣ هـ ١١ - ٢ - ٢٠٢٢م

خطبة الجمعة

أعمال القلوب

الحمد لله علام الغيوب أحمده سبحانه المطلع علىٰ القلوب وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العالم بالخطوب وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلىٰ آله وصحبه ومن سار علىٰ نهجه واقتفىٰ أثره.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]

أيها المسلمون:

إن الناس يتفاوتون عند الله تعالىٰ أكثر ما يتفاوتون فيه بأعمال قلوبهم ليست بصلواتهم مجردة ولا بصدقاتهم الظاهرة فلا ينبغي أيها العبد أن تهتم بالظاهر وتغفل القلب فالواجب العناية بأعمال القلوب أعظم من عنايتنا بملابسنا وهيئاتنا فإن ذلك من جملة الإيمان بل إن ذلك من أول ما يدخل في الإيمان وذلك من أكمل ما يوصل إلىٰ درجات الإحسان فينبغي علينا أن نفتش قلوبنا فنصل إلىٰ الأعمال التي فيها فنذكيها من الخيرات وما فيها من الدغل والغش فنخرجها ونغسلها لا نجعل قلوبنا كالإسفنجة تتراكم عليها الأوساخ حتىٰ تثقل بل نجعل قلوبنا كالمرايةِ ما إن يُرىٰ عليها أثر الغبار إلا وأدنىٰ شيء يزيله ينبغي علينا أن نصل بقلوبنا إلىٰ درجة تطمئن بذكر باريها: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ

ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨] ومن أعظم أعمال القلوب حب الله تعالىٰ حبًا عظيمًا يجعلنا نقدم محبوباته علىٰ كل محبوب وخشية الله تعالىٰ خشيةً عظيمة والتوكل عليه والإنابة إليه وتعلق الرجاء به والرغبة فيما عنده والرهبة منه وتعظيمه وتوقيره والحياء منه جل في علاه في الخلوات والجلوات فذلك يا عبد الله من أولىٰ الأعمال التي هي أولىٰ وأجلىٰ وأثقل وأعظم في الإيمان بالاتفاق.

ومن أعمال القلوب تعظيم حرمات الله تعالىٰ وتعظيم شعائره تعظيم دينه وأنبيائه تعظيم أصحاب نبيه تعظيم كتابه تعظيم شعائره من مناسك الحج والعمرة ومقامتها ومشاهدها وعدم الالتفات إلىٰ المشاهد الزائفة المزورة المزوقة التي وضعها الناس ومن ذلك تعظيم شعائر الله الزمانية كالعيدين وعدم الالتفات إلىٰ الأزمنة المبتدعة المحدثة التي يضاهي فيها الناس عيد المسلمين ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢] ولين القلب من أهم أعمال القلوب ووجل القلب من أعظم عبادات القلوب وهو أن تعيش بين الخوف والرجاء قال الله تعالىٰ عن أوليائه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١] وطمأنينة القلب إنما يحصل بطلب الأدلة والبراهين وبالمشاهدة في الآيات المنزلة في الكتاب المبين وبالعبادات العظيمة التي شرعت لأجل إصلاح القلوب ومن سبقت منه الحسنات فإنه يرجىٰ له الثبات عند البليات والاستقامة حتىٰ الممات قال الله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ

ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ [النحل: ١٠٦] عباد الله عمل القلب أشد وجوبًا من عمل الجوارح فالخشية التي هي في القلب أعظم وجوبًا من خشية الجوارح في الصلاة.

عباد الله:

يقول العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومن تأمل الشريعة في مصادرها وموارِدها علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب وأنها لا تنفع بدونها وأن أعمال القلوب أفرض علىٰ العبد من أعمال الجوارح وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد منهما من الأعمال التي ميزت بينهما وهل يمكن أحد الدخول في الإسلام إلا بعمل قلبه قبل جوارحه وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم فهي واجبة في كل وقت انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أيها المؤمن:

أنظر إلىٰ قلبك إن ما كان لعمل القلب هذه الأهمية الكبيرة لأن القلب ملك الجوارح وسائق النفس وقائدها وإذا قام بالقلب الإقرار بعبودية الواحد الأحد وأمتلأ بالمحبة له لزم ضرورةً أن يتحرك البدن بموجب ذلك من الأقوال الظاهرة والأعمال الظاهرة فما يظهر علىٰ البدن من الأقوال والأعمال إنما هو موجب ما في القلب ولازمه ودليله ومعلوله كما أن ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضًا تأثيرٌ فيما في القلب فكل منهما مؤثر علىٰ الآخر تأثير العلة للمعلول لكن القلب هو الأصل والبدن فرع له والرفع يستمد من أصله والأصل يثبت ويبقىٰ بفرعه فما أحوجنا إلىٰ الاهتمام بأعمال قلوبنا وإخراج السقيم منها وملئها بما يصلحها أخرج ما فيها من غل وحقدٍ وحسدٍ فوالله لا تجتمع مع حسن أعمال القلوب من خشية الله ومحبته وتعظيمه اللهم لا تخزنا يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتىٰ

الله بقلب سليم بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة وبما فيهما من الآيات والحكمة وأقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم الوهاب نحمده سبحانه الرحيم بالعباد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم

وبعد:

عباد الله:

اتقوا ربكم وأصلحوا قلوبكم واحذروا من غشها ومخادعتها فمن تخدع هل تخادع نفسك ومهما أخفيت فإن الله تعالىٰ يعلم ما في قلبك فإياك وإياك أن يظهر فيه ما يسخط الله ولا تكن ممن يقول بفمه ما ليس في قلبه واحذر نزغاته واحذر من هوىٰ القلب وقسوته وشدته ولتجد قلبك عند تلاوة آيات ربك ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]

واحذر يا عبد الله ريب القلب فإنه ضعفٌ في الإيمان قد يؤدي إلىٰ الكفران واجعل قلبك مخبتًا آواهًا منيبًا يشتاق للقيا ربه ويشتاق لذكره والأنس به وبشر المخبتين ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: ٣٥]

أيها المسلمون:

إن من أعظم ما يصلح عمل القلب العلم والعبادة علىٰ سبيل وسنة وإستقامة قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٤] قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فكل إسلامٍ ظاهرٍ لا ينفذ صاحبه منه إلىٰ حقيقة الإيمان الباطلة فليس بنافعٍ حتىٰ يكون معه شيء من الإيمان الباطن وكل حقيقة باطلةٍ لا يقوم صاحبها بشرائع الإسلام الظاهرة لا تنفع ولو كانت ما كانت فلو تمزق القلب بالمحبة والخوف ولم يتعبد بالأمر وظاهر الشرع لم ينجه ذلك من النار كما أنه لو قام بظواهر الإسلام وليس في باطنه حقيقة الإيمان لم ينجه من النار انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أي عباد الله:

إن السائرين إلىٰ الله في أعمال القلوب أقسامٌ فأنظر رعاك الله أين قلبك وأين نفسك وأنت من هؤلاء فالقسم الأول:

قومٌ اعتنوا بالأعمال الظاهرة نظفوا ثيابهم وأبدانهم وأعمالهم الظاهرة دأبهم لا يتعدىٰ الظاهر إلىٰ الباطن فترىٰ أحدهم يقيم الصلاة لا يعتني بخشوعها ولا بإظهار الذل بين يدي الله فيها ولا الأنس بالله فيها ويعتني بعدم سمعا المحرم من غيبةٍ أو نميمة لكن قلبه مخمورٌ بالحقد والحسد والغل.

القسم الثاني: قومٌ صرفوا اهتمامهم بصلاح قلوبهم زعموا واعتنوا بأعمال القلوب ويقولون أن القلب أبيض والعمل بما ها هنا ثم لا تراهم يهتمون بالعبادات الظاهرة من صلاة وجمعة

وجماعة وصدقات وصلة ولا دعوة الناس وتعليمهم ونحو ذلك فاعلم أن في القلب خراب لم ينتبه له.

القسم الثالث جعلني الله وإياكم منهم: قومٌ توسطوا فاعتنوا بأعمال القلوب كما اعتنوا بالأعمال الظاهرة غير أن لعمل القلب عندهم فضلا فهؤلاء وفقهم الله وسددهم فجمعوا بين عبودية الظاهر وعبودية الباطن وهذا طريق السابقين العارفين، قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بلغني أن عيسىٰ ابن مريم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يقول: لا تكثروا الكلام بغيري لذكر الله فتقسوا قلوبكم فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب وأنظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد فإنما الناس مبتلىٰ ومعافىٰ فارحموا أهل البلاء وأحمدوا الله علىٰ العافية.

وفيما رواه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لا ينظر إلىٰ أجسادكم ولا إلىٰ صوركم، ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم وأعمالكم.

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار، اللهم أعنا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم أغسل قلوبنا بالماء والثلج والبرد، وطهر نفوسنا يا رب العالمين وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم أغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم وفق ولي أمرنا لما تحب وترضىٰ وخذ بناصيته للبر والتقوىٰ وأجعل هذا البلد أمنًا مطمئنًا سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين.